في ٤ ت١ (اطلب كلندار الكنيستين للسمعاني Assemani : Kal. U. E., I.) (238 وكلندار الكنيسة الانطاكية للبيروني في المشرق (٥ : ٦٦—٦٧) . اما السنكسار الماروني فيذكر ترجمة القديس دومط على شكل آخر فقال انهُ كان في ايام والنس الاريوسي واقيم من جملة وزراء الملك وانهُ كان يحثهُ على اضطهاد الكاثوليك فعاقبهُ الله بداء المفاصل فاستفاق وترك كفر الملك وخدمتهُ فتنسَّك وتشرَّف بعمل الآيات. ويلتجئون اليه في داء المفاصل فيدعونه دومط القالج (له بقية)

الكتاب الابيض

رواية مترجمة بقلم احد الاباء اليسوعيين (تتمة)

فراق في عين الامير أدبُ الاخوة ولطفهم واراد ان يستطلع حالهم ونسبهم وبلدهم فقال مستفهماً: « من تكونون ايها الاولاد الادباء ؟ » — قال البكر مشيراً الى اخوته: سيدي الامير انك ترى امامك اولاد التاجر المرحوم ملكيور الموسر الذي كان لهُ في الصدق والاستقامة مع الناس وفي معارفهِ في فنون التجارة واساليبها المتنوعة ما هو اطيب في النشر واحسن في الأثر. لكنهُ بعد ان ترقَّى الى العُلى بامانتهِ وترقَّى الى ذرى المجد بسليم طويَّتهِ طرقتهُ بوائق الاحداث واتلفته في الدقعاء بعد العزّ والرفعة. فاصبحنا الآن يتامى لا نملك شروى نقير فتراءنا هائمين في وجهنا لا ندري الى اين نسند رأسنا. بَيْدَ ان رجاءنا بالله وطيد واملنا بالمستقبل بكين

— قال الامير بحنوّ والدي : اولادي اطلبوا مني ما تشاؤون فاني اعطيكموهُ بطيبة خاطر

قال يوحنا: سيدي لستَ مديوناً لنا بشيء ولكن ان رأيتنا اهلاً لخدمتك خدمناك بامانة وصرنا في حماك فاختبرنا لعلَّك تُسرّ بحسن سلوكنا

قال الامير: بل اسعى في امورك ريثما تبلغون رتبةً تمكِّنكم من اكتساب معاشكم بشرف فتُحيون ذكر والدكم ملكيور

ثم التفت الى يوحنا وسألهُ ماذا يجبُ ان يتولَّى من الاعمال ليبلغ مرامهُ

قال يوحنا: انَّ غاية ما اتمنَّى أن اخدم وطني واخوض معامع القتال في سبيل ملكنا العزيز كولوس التاسع

— ما اشرف نفسك يا يوحنّا وما اعظم همّتك فها انا أرسلك الى وزير الحربية لينظمك في فرقة من الجنود الملكيّة واوصيه بك كي تتدرّب على كلّ آداب الحرب تحت نظارة اشهر القوّاد. وهاءنذا اقلدك حسامًا شرّفهُ اجدادي بقراع الابطال ورغموا به معاطس صناديد الرجال وعهدي بك انّكَ توليه فخرًا جديدًا بمآثرك واعمالك الاثيلة

اجاب يوحنّا: اني أُقسم بضريح والدي اني أعيد هذه الصمصامة الى مكانها ودمُ العدى يقطر من صفحتيها

ثم التفت الامير الى ابن ملكيسور الاوسط وقال: وانت يا جول أتريد ان ترافق اخاك فتتجنّد معهُ

— انَّ قلبي يحدو بي الى جنديّة أخرى اعلى مقامًا تفوق جنديّة الارض شرفًا وعظمًا

— وما تلك ؟

— اني أروم ان اخدم وطني ببذل النفس والنفيس في صلاح القريب فاخدم الاجساد والنفوس معًا. فانَّ الله يدعوني الى الكهنوت فيا حبّذا لو استطعتُ يومًا ان ارشد الضالّين واعزّي الحزانى واهذّب عقول الاحداث وافتح ابواب السماء لمن يبرح دار الفناء

— ان كان الامر كذلك فنعم ما نويت يا جول واعلم انَّ اسقف هذه المقاطعة احد اقربي ومن اعزّ اصدقائي فسأكتب لهُ بان يجعلك في مدرسته الاكليريكيّة لتحرز فيها الآداب الكهنوتيّة والمعارف الدينيّة حتى اذا بلغت منها الكفاية تجرّدت لخدمة النفوس. ويا ليتني اعيش الى يوم اراك فيهِ تمثّل بفضائلك سيرة الكاهن الالهيّ الذي تقصد الاقتفاء بآثارهِ

ثم القى الامير بنظرهِ الى اصغر الاخوة وخاطبهُ قائلًا: وانتَ يا عزيزي ايّار ايّ اخريك تتبع ؟

— انا مُغرًى بالفنون الجميلة فاني منذ بلوغي اراني مندفعًا الى حبّ الجمال ورسم محاسن الطبيعة بالنقش والتصوير. فما اسعد حظّي لو أُتيح لي بان ادرس هذا الفنّ على ايرع الاساتذة في احدى المدارس المختصّة بهِ

— كُنْ مطمئنّ البال يا بُنيَّ فانّ في جوارنا مدينة اثينيون التي اشتهر فيها عدد من كبار المصوّرين وقد فتحوا هناك مكتبًا للاحداث الذين يرغبون مثلك درس فنّهم

الشريف وانا اتكفّل بنفقات دروسك هناك فتحظى بجلّ مرامك

فقال يوحنا: سيدي قد طوّقت جيدنا بقلائد نعمتك وجعلتنا أسرى معروفك فاليوم قد ثبت لنا صدق ما كتبهُ ابونا المرحوم في كتابهِ الابيض:

من يَفعل الخير لم يَعدَم جوازيَهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناس

فانّا انقذنا ابنتك من النصّابين ولم يكُ لنا باتقاذها كبيرُ فضل وها انت تُثيبنا على فعلنا مائة ضعف فجازاك الله خيرًا وانسأ في اجلك كي تُسَرّ يوماً بما تشاهدهُ من حُسن جميلنا

*

مرّت على هذه الاحداث سبع سنوات كانت فرنسة في خلالها أصيبت بضروب المحن فانّ الحروب المدعوّة بالحروب الدينية كانت انتشبت بين الاهلين فقام البروتستنت الكلو يثيُّون المعروفون بالهوغنوت واثاروا الفتن في كل انحاء الدولة فجعلوها دار حرب وعاثوا فيها عيث العدوّ الالدّ حتى ظنّ الكثيرون ان الفساد استشرى بحيث لا يُرتتق فَتقُهُ وانّ الداء تفاقم فلا يؤسى كَلمُهُ

لكنّ الله لم يشأ انّ ابنة الكنيسة البكر تذهب ضحيّة البدع الجديدة فألهم الملك كارلوس التاسع ان يجمع شتات المملكة ويجبر كَسرها فالتجأ الى قوم من الكاثوليك الامناء من الأُسَر الشريفة واستنهض همّتهم ودعاهم الى مقارعة المبتدعين فلبّوا دعوتهُ وقامت الحرب على ساق بين الحزب الملكي واصحاب الثورة في عدّة مقاطعات

وكان الامير ساڤوازي اوّل من اجاب الى ملتمس الملك كارلوس فاستدعى عددًا وافرًا من اهل ايالتهِ وجهّز العُدَد وسرّب الخيل وانضمّ الى الجيش الملكيّ فساروا الى جهات پروڤنسه جنوبيّ فرنسة حيث العدوّ كان ممشّى واثقًا بخيلهِ ورَجلهِ. فما لبث الفريقان ان أذكيا نار حربٍ عبوس اتّقد سعيرها وتأجّج أوارها فتبارزت الرجال وتصادمت الابطال

وكان الامير ساڤوازي في مقدّمة فرقتهِ يناوش العدوّ القتال بقلب اصلب من الصخر فعرف العدوّ انّهم لا نجاح لهم ما لم يفتكوا بذلك القائد فتألّب عليهِ فرسانهم وحملوا عليهِ حملة الرجل الواحد فسطع الرَّهج من سنابك الخيل وترجرجت الارض تحت اقدام الكُماة واذا بصوت قد سُمع بين القوم: قد فُزنا بأنصار الملك وهـا

سقط اميرهم. والوقت تداعت الاصوات وتجاوبت اصداء الجبال واشتبكت الهيجاء واشتجرت الاسنّة ووقع الامير عن فرسهِ بين الجرحى والقتلى

وهم لذلك اذ ظهر فارسٌ صادق البأس شديد المراس ونزل في حومة الوغى كالبرق اللامع فجالد وجاهد وجاذب وحارب حتى عدَّهُ العدوّ ليث غابةٍ او شيطاناً ماردًا خرج من قعر الجحيم لكفاحهم فذُعروا ونُخب لُبهم واستُطير قلبهم فولّوا مُدبرين ومَنحوا الملكيين اكتافهم وانهزموا وقد اضلَّ الله سَعْيَهم وخيَّب آمالهم

فلمَّا رأى الفارس الفرار انَّ العدوّ قد انكسر وتبدَّد شذر مذر أسرع الى ساحة الحرب وطاف بين اكداس الجَرْحى الامير الصريع ليضمّد جراحهُ او يفوز بجثّتهِ ليردّها اللحد بما يليق بها من الاكرام. فلم يزل يبحث عن ضالّتهِ حتى سَمع نباح كلبٍ كان لم يفارقهُ طرفة عين في حربهِ فصرخ « مَهيَم يا فرّاس » واقترب من الكلب فاذا بهِ ينبش بين الصرعى ويتشمَّم رائحةً كان عَهِدَها من ذي قبل فساعدهُ الفارس وما فتئ ان وجد الامير مضرَّجاً بالدماء وهو على آخر رَمَق مغشيٌّ عليهِ فاسرع وعصب جراحهُ بعصائب ابتزَّها من ثياب القتلى ثم حملهُ على جوادهِ وركب هو وانتهر فرسهُ قائلاً: « هيَّا بنا يا ريح ». فصار الجواد ينهب الارض نهباً حتى وصل الى مأمن في قرية محالفة لحزب الملك فسلَّم الامير الى طبيبٍ كان هناك واوصاهُ بهِ

ثم امتطى جوادهُ ورجع ادراجهُ الى ساحة الحرب والكلب فرّاس يتقدَّمهُ. فلمَّا وصل الى المكان ترجَّل واخذ من جديد يطلب جريحاً يسعفهُ او بائساً ينقذه من المكروه وكأنَّ كلبه فرّاس ادرك مرامه فجعل يبحث بيدَيهِ حتى كرَّر نباحه فاستدعى نظر مولاهُ فاقترب من الكلب واذا برجلٍ لابسٍ لبس الكهنة الأسود كان أتى هناك ليخدم الجرحى ويزوّدهم بالاسرار قبل وفاتهم فأصيب برصاصة كسرت ساقه وصرعتهُ حتى لم يمكنه ان يُبدي حراكاً من كثرة الالم فحمله الفارس على جوادهِ وأتى بهِ مسرعاً حيث كان الامير فسلَّمه الى الجرَّاحين لينظروا في امرهِ

ثم عاد الفارس ثالثةً الى عرصة القتال لينفّس كُربة الجرحى فسمع في طريقهِ انيناً ضعيفاً كأنَّه صوت مكروب بلغت نفسه التراقي فارسل فرّاساً يرتادُ الاحوال فبعد قليل عاد اليهِ ينبح فتبعه الى شجرةٍ هناك واذا تحتها شابٌّ يناهز العشرين من سنّهِ أصيب بضربةٍ على امّ رأسهِ كادت تكون القاضية. وكان بجانبهِ صورة زاهية الالوان في منتهى

الاثنان تمثل احوال الحرب في كل هيئاتها فأعجب الفارس بالصورة وحملها مع الفتى المسكين على فرسه وانقتل راجعاً الى حيث نقل الامير والكاهن سابقاً

وكان الليل في تلك الاثناء قد مدَّ رواقهُ وعاد الجيش الظافر الى محلَّته واخذ الجند يتبادلون اطراف الحديث ويتساءلون عن تفاصيل حربهم فأقرُّوا جميعاً بأنهُ لولا فارسٌ بهمة دخل مصافّ الفريقين وبدَّد شمل المدوّ لكان ذلك اليوم شؤماً مشؤوماً على الدولة وشرعوا يقتصُّون آثارهُ ليشكروا فضلهُ فلم يجدوا لهُ خبراً. فصاروا يطلبون اميرهم وهم يظنُّون انهُ قُتل وانَّ جثته في ساحة الوغى

امَّا الفارس الباسل فكان في مطاوي الامر عاد الى القرية حيث وجد الامير والكاهن والممرّضون يُعنَون بامرهما وهما لا يزالان مغشيًّا عليهما فاستدعى الجرَّاحين وطلب اليهم ان ينظروا في حالة الشابّ وجعل هو ايضاً يخدم الجرحى ويترتَّب كل حركاتهم وكأنَّ ما اصطنعه بهم جذب قلبه نحوهم وهو لم يعرف منهم الَّا الامير

فبقي الفارس الى منتصف الليل يخدم اولئك المؤوسين حتى رآهم قد ضُمدت جراحاتهم وخفَّت اوجاعهم وغلب هو عليه النُعاس فانطرح على الحضيض قريباً منهم بعد ان ربط فرسه ريحاً وترك فرَّاساً عندهُ

وما مرَّ عليهِ هزيعٌ من الليل حتى سمع ضجَّة على باب المنزل فجعل الكلب ينبح بشدَّة كأنَّهُ يهاجم عدوًّا فانتبه مذعوراً وصرخ بأعلى صوتهِ « صه يا فرَّاس ودَعنا ننام » . ثم قام الى الفرس وهو يصهل واذا بلصٍّ يحاول ان يختلسه والكلبُ يمانعه طاقة جهدهِ . فلمَّا رأى اللصّ انَّ امرهُ انكشف فرَّ هارباً ونجا تحت ستر الظلام

وكان الفتى صاحب الصورة اذ احسَّ بالضوضاء شعر بحالهِ وسمع اسم الكلب « فرَّاس » فتذكَّر انه اسم كلب والدهِ وكان منذ سبع سنوات قد ابتعد عن مسقط رأسهِ ولم يعرف ما جرى بأخويهِ يوحنا وجول. فخُيِّل له انَّ الفارس الذي نجَّاهُ هو اخوهُ الكبير وانَّ الفرس هو ريح فرس ابيهِ والكلب كلبهِ فرَّاس. فلما هزم الفارسُ اللصَّ وعاد الى مكانهِ ليضطجع صرخ اليهِ الفتى : ناشدتك الله يا صاح الستَ يوحنَّا ابن ملكيور ؟

— وكيف تعرف اسمي ؟

— اليس هذا فرَّاس كلبُ ابينا ملكيور وهذا الفرس فرسهُ ريح وانت ابنهُ

البكر . اعلم اني انا اخوك الصغير ايار كنت منذ ايام سمعتُ بانتشاب الحرب فقصدت ساحة الوغى لأصوّر عن عيان حركات الجند واحوال القتال في مكان ممتاز فكدتُ انجز العمل اذ مرّ بي جنديٌّ هاربٌ امامكم فرآني وضربني ضربةً اليمةً افقدتني الشعور ولولا ان الله ارسلك لانقاذي لمانيَ كنتُ ودّعتُ الحياة

فلمّا سمع يرحنا هذا الكلام رمى بنفسهِ على عنق اخيهِ ايار وقبّلهُ والدموع تسيل من عيونهِ وشكر الله الذي خلّص اخاهُ على يدهِ

وبينما هما يطلقان العنان لفرحهما ويتبادلان عبارات الحبّ ويتذاكران الزمن القديم كان الكاهن الضجيع افاق من غشيتهِ فسمع بعض كلامهما وعرفهما وصرخ :

أأنتما هنا يا يرحنا وايار ؟ . فليكن الرب مباركاً اذ جمعنا في هذا اليوم وانا اخركما جول كاهن الله . انني لمّا عرفتُ بقرب وقوع المعركة بين الجيش الملكيّ وعسكر الهوغنت توسّلت الى اسقف الابرشيّة وقد مرّ على سيامتي شهران فقط بان يسمح لي ان اخدم الجرحى في ميدان الحرب فاذن لي وبقيت مدّةً افتح لكثيرين ابواب السماء وكنتُ قريباً من الامير اذ جندلهُ الاعداء فاسرعتُ الى اسعافهِ فاصابتني رصاصةٌ فوقعتُ بلا حراك ولا اعلم ماذا جرى لي بعد ذلك . وهاءنذا اراني مع اخويّ العزيزين بعد سبع سنوات فارقتهما لاستعدّ لدرجة الكهنوت

قال هذا وكان كلامهُ ينفذ في قلبي اخويهِ فتأثّرا لاستماعهِ ايّ تأثير وتقرّب منهُ يرحنا وقبّلهُ والتم يديهِ وبلّهما بدموعهِ . امّا ايار فكان يذرف الدموع على فراش ألمهِ . ثم قضى الاخوة تلك الليلة يسبّحون الله الذي جمع شملهم وجعل الحرب وسيلة لتلاقيهم

ثم اخبر يرحنا اخويهِ برجيز الكلام كيف انتظم في الجنديّة وتمرّن على آداب الحرب وانهُ كان ينتظر بفروغ الصبر فرصةً ليظهر فيها تفانيهُ في سبيل وطنهِ فلمّا بلغهُ انّ الحرب الاهليّة ثارت بين جنود الملك واصحاب الشغب ألحّ على قائدهِ بان يرسلهُ الى ساحة الوغى فجاء بعد السير الحثيث ونزل في مجال الحرب اذ كادت تدور رحاها على الامير ساڤوازي فانقضّ انقضاض الصاعقة على العدوّ واعمل في رقابهِ ذلك الحسام الذي قلّدهُ اياهُ الامير قبل سبع سنوات حتى ضعضع اركانه

*

مرّ على اجتماع الاخوة ثلاثة اشهر وكان الاخوان جول الكاهن وايار المصوّر شفيا

من جراحها. اما الامير ساثوازي فانهُ كان نُقل الى قصره حيث اهتمَّ بامره ابرع الاطباء فحسنت حالهُ وعرف ما اتاهُ يوحنا من المآثر الجليلة والاعمال الاثيرة فارسل واستدعاهُ الى قصره واثنى اطيب الثناء على بسالته واقطعهُ الاقطاعات الواسعة وطلب لهُ من الملك وسام الشرف فناله ما طلب. وكذلك اعلم اسقف الايرشيَّة بحسن سلوك الكاهن جول فجعلهُ قانونيًّا على كنيسته الكاتدرائيَّة. اما ايمار فارسل الامير الصورة التي رسمها في موقع الحرب لتُعرض في معرض فنيّ عظيم في باريس فنالت الجائزة الاولى

فما كان هذا النجاح الباهر لأن يُنسي الاخوة وعدهم بان يحضروا في تمام سبع سنوات الى ضريح ابيهم فاتوهُ في اليوم المعيَّن وقدَّم جول الذبيحة المقدَّسة لراحة نفس والدهم. اما ذاك الشيخ المسكين الذي اخذ على نفسه حراسة ضريح ملكيور وعرف ما ناله ابناؤهُ من الفخر فأتاهم مهنئًا فجعلوا له راتبًا يعيش بهِ بقيَّة ايام حياته. فكان لسان حالهم يردّد ما كتبه ملكيور في الكتاب الابيض

من يفعل الخير لا يعدم جوازيهُ لا يذهب العرفُ بين الله والناس

مطبوعات بيزنطية جديدة

LUDWIG VON SYBEL : Christliche Antike. II Bd. Plastik, Architectur u. Malerei. *Marburg, Elwert*, 1909, in-4°, illustré.

العاديات النصرانيَّة

وصف حضرة الاب سبستيان رنزفال في المشرق (١٠ : ٨١١) الجزء الاوَّل من العاديات النصرانية فوقع وصفهُ موقع الاستحسان لدى المؤلف فشكرهُ في مقدَّمة هذا الجزء الثاني. ولولا غياب الاب المذكور لحقَّ لهُ ان يصفهُ للقرَّاء كما فعل بالقسم السابق. ولعلَّهُ يفضلهُ على ذاك في بعض الاشياء. وخصوصاً في حياده عن مَسّ الدين فانَّ المؤلف عرف انهُ اثريّ ومؤرخ وليس من ارباب الدينيَّات فحصر كتابتهُ في الامور التي هو متضلّع فيها فتتبَّع الآثار النصرانيَّة من هندسة وبناء ونقش وتصوير وأحسن في بيان خواصها. ولهُ مُقدَّمة جامعة تحتوي لباب آرائهِ في الفنون الجميلة لدى اليونان والرومان والشرقيين (Hellas, Rom u. d. Orient) لكنَّهُ لا يذهب مذهب الكاتب سترزيغوسكي (Strzygowski) وذويهِ الزاعمين بانَّ فنون الشرق اثَّر كثيرًا في